والايجاز والبلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن نظم الغريب والاسلوب العجيب
الذي لم يهتدوا الى المنظوم الى طريقته ولا علموا في اساليب الاوزان منهجه ومن الاخبار
عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر
عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة
وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار
عن القرون السالفة وانباء الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ
لهذا العلم عن بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة الى يوم
القيامة بينة الحجة لكل امة تأتي لا يخفى وجوه ذلك على من نظر فيه وتأمل وجوه اعجازه
الى ما اخبر به من الغيوب على هذه السبيل فلا يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه
بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة
زيادة في اليقين والنفس اشد طمأنينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان
كل عندها حقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها
ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار
عليه الصلوة والسلام بقوله فيما حدثنا القاضي الشهيد ابو علي نا القاضي ابو الوليد نا ابو ذر
نا ابو محمد وابو اسحق وابو الهيثم قالوا نا الفربري نا البخاري نا عبد العزيز بن عبد الله نا الليث
عن سعيد عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال ما من الانبياء
نبي الا اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله
تعالى الي فارجو ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيامة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر
والصحيح ان شاء الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور معجزة نبينا
صلى الله تعالى عليه وسلم الى معنى آخر من ظهورها وكونها وحيا وكلاما لا يمكن التخييل عليه

والتشبيه

ولا التشبيه فان غيرها من معجزات الرسل قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في
التخييل بها على الضعفاء كالقاء السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله
الساحر او يتحيل فيه والقرآن كلام ليس للحيلة ولا للسحر في التخييل فيه عمل فكان من
هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب ان يكون
شاعرا او خطيبا بضرب من الحيل والتمويه والتأويل الاول اخلص وارضى
وفي هذا التأويل الثاني ما يغمض الخفي عليه ويعفى وجه ثالث على مذهب
من قال بالصرفة وان المعارضة كانت في مقدور البشر فصرفوا عنها او على احد
مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله من جنس مقدورهم ولكنهم لم يكن ذلك
قبل ولا يكون بعد لان الله تعالى لم يقدرهم عليها وما هو من جنس مقدورهم وذمهم
بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب النفوس والاموال والتقريع
والتوبيخ والتعجيز والتهديد والوعيد ابين آية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول
عن معارضته وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم واليه ذهب الامام
ابو المعالي الجويني وغيره وقال هذا عندنا ابلغ في خرق العادة في الافعال البديعة
في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال الناظر بدارا ان ذلك
صحيح النظر واما التحدي للخلائق مئين من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا
بمثله فلم ياتوا مع توفر الدواعي على المعارضة ثم عدموا الا منع الله الخلق
عنها بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام على الناس مع مقدرتهم عليه
وارتفاع الزمانة عنهم فكان ذلك وعجزهم الله عن القيام لكان ذلك من ابهر
آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن بعض العلماء وجه ظهور
آيته على سائر آيات الانبياء حتى احتاج للعذر عن ذلك بدقة افهام
العرب وذكاء البابها ووفور عقولها وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)